



Arabic Translation Work:
Norbert Elias (Author)
Sociogenesis of the Antithesis
Between *Kultur* and *Zivilisation* in German Usage*

Oualid Hadj Ali (Translator)

Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fes, Morocco

Email : Oualidhadjali3@gmail.com

Orcid ID : [0009-0003-3096-9779](https://orcid.org/0009-0003-3096-9779)

Received	Accepted	Published
23/10/2024	11/1/2025	13/4/2025

doi : 10.63939/AJTS.n4zk7v32

Cite this article as : Elias, N. (2025). Sociogenesis of the Antithesis Between *Kultur* and *Zivilisation* in German Usage (O, Hadj-Ali, Arabic Trans.). *Arabic Journal for Translation Studies*, 4(11), 137-146.

Abstract

The topic of this article falls within the scope of studies translated from German into Arabic. The author explores the concept of civilization and its relationship with the development of scientific knowledge through a central idea: the perceived opposition between "civilization" and "culture" is not merely a personal perspective but belongs to a much broader context. At the same time, the author emphasizes that this contrast reflects German self-pride and highlights differences in self-assertion, temperament, and general behavior—whether among specific social classes within Germany or between the German nation and other nations. The article also discusses various French and English perspectives on the terms "culture" and "civilization," noting that these concepts were historically seen as somewhat foreign to them, despite their clear and frequent use in contemporary society.

Keywords: Civilization, Culture, Knowledge, Intellectual, Civilized

© 2025, Hadj Ali, licensee Democratic Arab Center. This Translated Paper is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

* Elias, N. (1980). Zur Soziogenese der Begriffe „Zivilisation“ und „Kultur,“ Erster Teil: Zur Soziogenese des Gegensatzes von „Kultur“ und „Zivilisation“ in Deutschland. In *Über den Prozess der Zivilisation: Soziogenetische und psychogenetische Untersuchungen. Band I, Wandlungen des Verhaltens in den weltlichen Oberschichten des Abendlandes* (pp. 1-13). Suhrkamp.

عمل مترجم:

نوربرت إلياس (المؤلف)

تحقيقات في التنشئة الاجتماعية لمفهوم الحضارة والثقافة

وليد حاج علي (المترجم)

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

الابمئل: Oualidhadjali3@gmail.com

أوركيد ID: 0009-0003-3096-9779

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الاستلام
2025/4/13	2025/1/11	2024/10/23

doi : 10.63939/AJTS.n4zk7v32

للاقتباس: إلياس، ن. (2025). تحقيقات في التنشئة الاجتماعية لمفهوم الحضارة والثقافة (ترجمة وليد حاج علي). *المجلة العربية لعلم الترجمة*، 4(11)، 137-146.

ملخص

يندرج موضوع هذا المقالة ضمن الدراسات المترجمة من اللغة الألمانية إلى العربية حيث يقارب فيه صاحبه (نوربرت إلياس) مفهوم الحضارة وعلاقتها بتطور المعرفة العلمية، ذلك من خلال فكرة أساسية مفادها أن المرء يعتبر من وجهة نظره أن تعارض مفهوم "الحضارة، والثقافة" لا يرمز لنفسه، بل ينتمي إلى سياق أكبر من ذلك بكثير، كما يؤكد كذلك في الوقت نفسه على أن هذا التعارض يعبر عن الاعتزاز الألماني بالذات، ويشير في حد ذاته إلى فوارق إثبات الذات والطباع والسلوك العام، سواء بين طبقات اجتماعية محددة في ألمانيا أو بين الأمة الألمانية وغيرها من الأمم، ثم تناول بالحديث مجموعة من التصورات الفرنسية والإنجليزية المرتبطة بمصطلحي الثقافة والحضارة والتي اعتبرت مفهوما المصطلحين ظاهرة غريبة بالنسبة إليهم رغم وضوح استعماله اليومي داخل المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الحضارة، الثقافة، المعرفة، المثقف، المتحضر

© 2025، الخويلدي، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.

نشر هذا النص المترجم وفقاً لشروط (CC BY-NC 4.0) International (Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0).

تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

مقدمة

يرتبط مفهوم الحضارة بعدة مجالات مختلفة، منها: درجة التطور التقني، ونوع السلوكات، وتطور المعرفة العلمية والأفكار الدينية والمعتقدات، كما يرتبط بأسلوب السكن أو الحياة الاجتماعية لكل من الرجال والنساء، وشكل العقوبات القضائية أو طريقة تحضير الأكل. وإذا نظرنا عن كثب إلى ما يُمكن القيام به فيما يخص شكلا أو سلوكا لمتحضر أو غير متحضر، سيتضح جليا أن هذا المفهوم يبقى أمرا صعبا دائما، ولا يمكن تلخيصه في بضع كلمات.

لكن عندما يتساءل الإنسان بشكل عام عن الوظائف الحقيقية لمفهوم الحضارة، ويبحث عن الأسباب الحقيقية والعنصر المشترك لوصف مختلف السلوكات والأعمال الإنسانية التي ترمز للإنسان بأنه متحضر، فإنه يجد شيئا سهلا هو أن هذا المفهوم يعبر عن الوعي الذاتي للغرب، أو الوعي الوطني.

لذا، يمكن تلخيص هذا المفهوم إجمالاً في التقدم، الذي يعتقد المجتمع الغربي أنه تفوق فيه خلال القرنين أو القرون الثلاثة الأخيرة على المجتمعات الأكثر بدائية التي سبقتها أو التي عاصرتها. يبحث المجتمع الغربي من خلال هذا المفهوم عما يميزه ويميز طبيعته، وكذلك عما يدل على فخره، من حيث درجة تقنيته، وأنماط سلوكاته، وتطور بحثه المعرفي.

2 إن الحضارة لا تعني المفهوم نفسه لدى مختلف المجتمعات الغربية، حيث إن استعماله يختلف بشكل كبير بين الإنجليز والفرنسيين من جهة، والألمان من جهة ثانية.

يعبر هذا المفهوم (لدى الإنجليز والفرنسيين) عن فخر كل مجتمع بالخطوات التقدمية لدى الإنسان الغربي، بينما تعني الحضارة في الاستعمال الألماني الشعور بالعطاء والنفع الذي يشمل كل ما هو خارجي وسطحي للوجود الإنساني. وبالمقابل يحتل مفهوم الحضارة في الاستعمال الألماني المرتبة الثانية، بينما يحل محله في المرتبة الأولى مصطلحا آخر هو "الثقافة"، الذي من خلاله يحلل المرء وجوده الفردي في ألمانيا، ويعبر عن فخره - في المقام الأول - بالإنتاج والمعرفة الفرديين.

يبدو أن مصطلح الحضارة أو الثقافة ظاهرة غريبة بالنسبة إلى الفرنسيين والإنجليز والألمان، رغم وضوح استعماله اليومي داخل المجتمع. تبقى طريقته في تلخيص جزء من العالم، ورسم الحدود واضحة في مجالات محددة لكي تكون معارضة لمجالات أخرى، وكذلك التقييمات السرية والضمنية التي يسلكها، كل هذا يجعله صعب المنال بالنسبة لأولئك الذين ليسوا جزءاً من هذه المجتمعات.

يرتبط مفهوم الحضارة بالنسبة إلى الفرنسيين والإنجليز بما هو سياسي أو اقتصادي أو ديني أو تقني أو أخلاقي أو اجتماعي، بينما يرتبط مفهوم الثقافة عند الألمان في الجوهر بما هو روحي وفني وديني، ويبقى لهذا المفهوم اتجاهات قوية متعلقة بانشغال مجالات هذا النوع من جهة والانشغالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية من جهة أخرى.

ويمكن أن يرتبط المفهوم الفرنسي والإنجليزي للحضارة بالإنجازات، كما يمكنه أن يرتبط بالسلوكات، ودراسة السلوك الإنساني (Behaviour)¹، في الوقت نفسه؛ إذن، هل استطاعت تلك السلوكات أن تفعل شيئاً ما أم لا؟

يعتمد مفهوم الثقافة، بشكل أقل، على المدرسة السلوكية والقيم التي لا توجد فيها إنجازات الإنسان من خلال وجوده وسلوكه. ولهذا يتبلور المعنى العميق للمفهوم عبر استعمال مصطلح اشتقائي آخر هو مصطلح: "ثقافي" الذي يرمز بالدرجة الأولى إلى قيم وصفات إنتاج مجموعة محددة من البشر، ومن ثمة يرتبط بإنتاج الإنسان من خلال إنجازاته، غير أن مصطلح "ثقافي" غير قابل للتداول لدى الفرنسيين والإنجليز.

إن مصطلح "المثقف" لصيق بالمفهوم الغربي للحضارة، حيث يمثل أعلى أشكال المتحضر، ويمكن أن نطلق مصطلح "المثقف" على الإنسان أو العائلة، على عكس مصطلح "ثقافي".

وبناء على ما سبق، فإن مفهوم "المثقف" مثل مفهوم "المتحضر"، لأنه يرتبط أولاً بنمط السلوك أو التصرف الإنساني، فيرمز إلى جودة معيشة الإنسان داخل المجتمع، من خلال سكنه وتأدبه ولغته ولباسه؛ خلافاً لمفهوم "ثقافي" الذي يرمز مباشرة إلى الإنسان، أو بالأحرى إلى سلوكيات محددة للإنسان.

رغم الترابط الضيق بين المفهومين السالف ذكرهما، إلا أن هناك اختلافاً آخر، هو أن الحضارة ترمز إلى قضية، أو على الأقل نتيجة قضية تتعلق بشيء ما، أو بحركة دائمة تتجه نحو الأمام.

يُستعمل المفهوم الألماني للثقافة في الوقت الراهن بمعنى مفهوم الحضارة، إلا أن مسار حركته مختلف، حيث يتعلق بإنتاج الإنسان الذي يمثل هنا "ازدهار مجالات التخصص" وبأعمال فنية أو بكتب، أو ديانات، أو أنظمة فلسفية يمكن التعبير من خلالها عن طبيعة مجتمع ما، هكذا تم تحديد مفهوم الثقافة.

يمحو مفهوم الحضارة إلى حد ما الفوارق بين الشعوب، حيث يركز على حساسية أولئك الذين يستخدمونه، وهو أمر شائع لدى جميع الناس، أو على الأقل ينبغي أن يكون كذلك، فهو يعبر عن الاكتفاء الذاتي للشعوب والطبائع الخاصة داخل الحدود الوطنية منذ قرون، لكن يبقى هذا الأمر موضع تساؤل، لأنهم تطبعوا بذلك بشكل دائم، في الوقت الذي تجاوزت فيه تلك الشعوب حدودها منذ وقت طويل عندما شاركت في أنشطة استعمارية.

وفي المقابل يزيد المفهوم الألماني للثقافة من مشكلة اختلاف الأوطان، وخصوصيات المجموعات، وبفضل حيالة هذه الوظيفة مكن من تجاوز الوضعية الأصلية، حيث تم التخلي عن تلك الأهمية، مثلاً، في مجال الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، وكذا منطقة الدول الناطقة بالألمانية. مع ذلك، يبقى هذا الوضع الأصلي نابعا من المجتمع، مقارنة مع باقي المجتمعات الغربية الأخرى، التي وصلت في وقت جد متأخر إلى الاتحاد، وتمكنت من توحيد السياسات، والحدود التي تفاوتت على مدى قرون، والتي تهدد دائماً قيام هذا الاتحاد.

وعلى النقيض من ذلك فإن وظيفة مفهوم الحضارة يعبر عن ميولات توسعية دائمة للأمم والجماعات المستعمرة، أما مفهوم "الثقافة" يعكس وعي الأمة التي أجبرت على الإجابة باستمرار عن ماهية طبيعتها الخاصة، والبحث عن دمج حدودها السياسية والروحية دون توقف.

لقد سعى المفهوم الألماني للثقافة إلى رسم الحدود وتعريف الجماعات المختلفة وتوحيدها، وذلك استجابة للقضية التاريخية، وبالمقابل لم يعد الفرنسيون والإنجليز يثيرون منذ فترة طويلة فيما يخص وعيمهم، مسألة طابعهم الخاص، في حين هناك قلق دائم على مدى قرون يخص معرفة الطابع الخاص للمجتمع الألماني. هذا السؤال، الذي يمكن الإجابة عنه من بين أمور أخرى في مرحلة تطور مفهوم "الثقافة".

تختلف بنية الشعور الوطني المتمثلة في مفهومي "الثقافة" و"الحضارة" اختلافاً كبيراً من حالة إلى أخرى، لكن لتمييز هذا الشعور، تستحضر ألمانيا ثقافتها بفخر واعتزاز، فضلاً عن التقدير الكامل للفرنسيين والإنجليز لحضارتهم التي تحمل المعايير الأكثر وضوحاً بالنسبة إليهم، والتي تسمح لهم بالنظر من زاوية مختلفة إلى العالم الإنساني ككل.

يستطيع الألماني أن يشرح للفرنسي والإنجليزي، عند الضرورة، ما يقصده بمفهوم "الثقافة"، لكنه لا يستطيع أن يعطي شيئاً مميزاً للتجربة الوطنية التقليدية إلا بصعوبة بالغة، انطلاقاً من مفهوم القيمة العاطفية التي تحيط بهذه الكلمة. كما يمكن للفرنسي والإنجليزي أن يفسرا للألماني المحتويات التي تلعبها الحضارة بالنسبة إليهما من خلال تجسيدهما للوعي الوطني، فإذا بدا له هذا المفهوم معقولاً وعقلانياً تماماً، فإنه لا يتبع إلا تسلسلاً معيناً من المواقف التاريخية لأنه محاط بهالة عاطفية وتقليدية من الصعب تعريفها حيث يشكل جزءاً لا يتجزأ من معناها. هكذا تصير المناقشة غير مجدية عندما يظهر الألماني للفرنسي والإنجليزي لماذا يمثل مفهوم الحضارة قيمة بالنسبة إليه، رغم كونها قيمة ثانوية.

تشبه مفاهيم من قبيل "الثقافة والحضارة" قليلاً الكلمات التي تنشأ أحياناً داخل المجموعات التي تتفكك إلى عائلة أو طائفة، أو في شكل (جمعية)، والتي تحمل معنى للمطلعين، لكنهم لا يقولون الكثير للمبتدئين؛ تلك نتيجة تجارب مشتركة تنتشر بفضل الجماعة، فتصبح تلك الجماعة هي التعبير. هذا حالهم وتاريخهم الذي ينعكس عليهم، إذ يبدو منكمسين دائماً، ويفتقرون دائماً إلى الحيوية في نظر أولئك الذين لا يشاطرونهم هذه التجارب، والذين لا تعكس لغتهم التقليد والوضع نفسه.

إن المجتمعات التي أعطت تعريفاً "لثقافة والحضارة" ليست هي الطوائف أو الأسر، هي شعوب بأكملها، أو ربما طبقات محددة من هذه المجتمعات. لكن يمكن أن تنطبق بدقة على مجموعات صغيرة، تميزها كلمات معينة، فهي منبثقة من الناس، وموجهة في المقام الأول إلى الذين لديهم التقاليد نفسها والوضع نفسه.

يمكن فصل المفاهيم الرياضية عن المجتمع الذي يستخدمها، حيث يُمكن ذلك المرء من تفسير المثلثات دون الإشارة إلى الحالات التاريخية، لكن هذه القاعدة لا تنطبق على "الحضارة" أو "الثقافة".

إن الأفراد الذين تشكلوا انطلاقاً من المادة اللغوية للجماعة التي تحمل معنى معيناً، حققوا ثورة، إذ عملوا بأنفسهم على تحديد معنى جديد، وكرسوه في أقوالهم وكتاباتهم، وعملوا كذلك على موضوع التبادل، حتى إنهم أصبحوا أدوات قيمة، قادرة على التعبير عن التجربة والفكر المشتركين، فأدمجوا بذلك "الكلمات المستجدة" في المصطلحات الشائعة ضمن لغة مجتمع معين. من الواضح أنهم أجابوا على حاجيات الجماعة، التي تعكس تاريخهم وتشهد عليهم وليس حاجيات الفرد.

يجد كل فرد على حدة في رواسبه الطرق الممكنة لعمله، فهو لا يعرف بالضبط لماذا تحتوي هذه الكلمات على مثل هذا المدلول وهذا التقييد، ولماذا يتم ترك هذا الفارق عوض استخراج إمكانية جديدة من تلك الكلمات، يستخدمها لأنه متأكد منها، ولأنه أخذها منذ طفولته لرؤية العالم من منظور هذه المفاهيم.

كانت قضية التنشئة الاجتماعية طي النسيان منذ فترة طويلة، حيث كانت تنتقل من جيل إلى آخر دون تعديلات، وتحضر في مجملها في ذهنه، وتظل لفترة طويلة، طالما تعكس تجارب وحالات ماضية، والتي تحافظ على القيمة الحالية، وهي وظيفة في الوضع الراهن للمجتمع، حيث الأجيال المتعاقبة قادرة على تحديد معنى المصطلحات في تجاربها الخاصة، إنها تموت تدريجياً حينما لا تستحضر أية وظيفة وأية تجربة تتعلق بالحياة الاجتماعية الراهنة.

أحيانا تصمت الأجيال بسهولة، أو تريح نفسها في بعض المجالات، وتحصل بذلك على وضعية اجتماعية، تخول لها قيمة راهنة جديدة، يمكن للمرء استحضارها، لأن كل مركب للحالة الراهنة للمجتمع يمكن التعبير عنه من خلال انعكاس حالة الماضي، حيث تم الاحتفاظ بهذه التعابير: مسار تطور مفهومي "الحضارة" و "الثقافة" المتناقضين.

7 _ من الواضح أن سنة 1919 وما قبلها، قد أحييت الجانب النقيض للمفهوم الألماني للثقافة، والذي كان له من بين أمور أخرى وظيفة مناقضة لمفهوم "الحضارة"، ويعزى هذا التطور إلى الحرب التي نشبت في ألمانيا تحت اسم الحضارة نفسها، حيث كان الألمان في أمس الحاجة إلى استرجاع الثقة في أنفسهم، ولو في الحالة الجديدة التي تم إنشاؤها بموجب معاهدة فرساي. لكن من الواضح أيضا أن الظروف التاريخية، التي كانت قائمة في ألمانيا في مرحلة ما بعد الحرب إنما أعطت نفسا جديدا للتناقض الذي كان قائما منذ فترة طويلة، أي منذ القرن 18، بالنسبة إلى هذين المفهومين.

ويبدو أن كانط (Kant) كان أول من قدم معنى لتجربة مجتمعه الخاصة والمضادة من خلال المفاهيم المرتبطة بها، فقد قال سنة 1784 في مقاله: "أفكار حول التاريخ العام من منظور العالم البرجوازي"² "نحن مثقفون بدرجة عالية في الفن والعلوم، ومتحضرون إلى درجة تفوق التصور في ممارسة خليط من الأدب والحشمة المجتمعيين".

يرى كانط بعد ذلك، أن فكرة الأخلاق جزء من الثقافة، وإذا استخدمت هذه الفكرة التي تهدف إلى ما أحب فقط مثل الشرف والأخلاق خارج الاحترام، فإنها ستكون هي السمة الوحيدة للحضارة.

وعلى الرغم من تشابه هذا الوصف النقيض وقت نشأته، مع التعريف الذي نقدمه حاليا، فلم تنشأ نقطة انطلاق الاتجاه الملموس والتجارب والحالات التي تتعلق بها، من دون علاقة مع التجربة التاريخية التي تقوم على وظيفتها الراهنة في أواخر القرن 18.

يتضح التناقض هنا، في تعبير الطبقة الألمانية البرجوازية من خلال الطبقة المتوسطة المثقفة، فهذه مجرد وسيلة غامضة للغاية من جهة، إذ لازالت لها أهداف كثيرة، (من منظور العالم البرجوازي)، ومن جهة ثانية تلعب دور "معارضة" وطنية. توجد في المقدمة تجربة مُحفزة للمعارضة داخل المجتمع، تلك المعارضة الاجتماعية التي تتضمن طريقة غريبة في عداء الشعوب. إنه تناقض غالبا ما يكون بين فئة من الناطقين بالفرنسية "المتحضرين" و "النبلاء"، وفئة من الناطقين بالألمانية من الطبقة المثقفة التي تنتهي إلى خدام الأمراء، أو بمفهوم أوسع تنتهي إلى عامة الناس، أو المتطوعين لخدمة البلد وأحيانا لنبل البلد.

توجد طبقة تجهل النشاط السياسي إلى حد كبير، بل الأكثر من ذلك هناك أفكار تتجاهلها الفئات السياسية والفئات الوطنية التي لاتزال مترددة، إذ تجد مبررات لمنجزاتها الفكرية الخاصة، سواء العلمية أو الفنية. تقف الطبقة العليا أمام هذه المنجزات بمعنى المفهوم من قبل الآخرين، والتي لا تفعل شيئا في مكان مركز وعيها الذاتي، مبررة سلوكياتها الحريصة على التمييز بين المسافات. هذه هي الطبقة التي قصدها كانط عندما قال: "نحن حضاريون باستمرار لتنفيذ الاتفاقيات والمجاملات الاجتماعية"، عندما أكد أن "ما في الحب شرف يشبه الأخلاق" و "ما في الحب شرف مثل الأخلاق".

إنه الجدل في ألمانيا بين المثقفين من الطبقة الوسطى في مقابل عملاء الحكام والطبقة العليا، مما تولد عنه ظهور تناقض بين مفهومي "الثقافة" و "الحضارة" في ألمانيا. لكن هذا الجدل القديم والعميق انعكس أثره على هذين المفهومين. والواقع أن

هذا التضاد كان موجودا بشكل ملحوظ حتى قبل منتصف القرن 18، وإن كان ضمينا فقط من خلال الأفكار والسلوكيات، وقد بدأ يتلاشى بعد منتصف هذا القرن.

كثيرة هي المقالات التي كانت في: الموسوعة العالمية تسدلغشن (ZedlerschenUniversallexikon) سنة 1736 حول "رجل البلاط/ التأدب/ البلاط" (Hof/Höflichkeit/Hofmann)، ولكي تصير واضحة بشكل أدق، نورد تعريفا مقتضيا لتلك المصطلحات. كان مصدر مصطلح "الاحترام" أو "التأدب" بلا شك من "البلاط" و"الحياة في البلاط".

إن بلاطات الأسياد هي الأمكنة التي يرغب الجميع في توفير ثرواته فيها، والسبيل الوحيد للقيام بذلك هو جذب تعاطف الأمير وكبار النبلاء في البلاط. تحدث آلام كثيرة لكي تكون الأمور في حال جيد فقط، ليس هناك ما هو أكثر فعالية من إقناع الغير، وذلك بالاستعداد للعمل في جميع الأوقات وبكل قوة، لكننا لسنا قادرين دائما، ولا نريد دائما ذلك، في الغالب يكون ذلك لأسباب مشروعة، وهذا ما تنجم عنه المجاملة، التي يجب أن تكون منبعثة (في غيرها) من المواقف الخارجية، ومن الاعتقاد بأن المرء يمكنه أن يعمل عن طيب خاطر، إذ نكسب ثقته بصورة تدريجية، فيتولد تعاطف يدفعنا إلى فعل الخير الذي لا يقاوم. تُقدّم المجاملة بشكل عام لأولئك الذين يتمتعون بامتيازات ملموسة، إنها في واقع الأمر المهارة والفضيلة اللتان يجب علينا التحلي بهما، من خلال الحصول على تقدير الأشخاص، لكن كم عدد الذين يمكن التعرف عليهم؟ قليل من يمكن النظر إليهم ببعض الاحترام.

يميل الأشخاص أكثر من اللازم إلى الأمور التي تخاطب المشاعر، خصوصا عندما يتم إضافة بعض الشروط التي لديها قوة غريبة نابعة من إرادتهم، وهذا بالضبط ما يحدث للشخص المهذب.

وهنا نجد نموذجا بسيطا، وخاليا من أي تأويل فلسفي، موجها وبشكل واضح وفق تشكيلات اجتماعية معينة، النقيض نفسه الذي قدمه كانط بشكل عميق لتعارض الثقافة والحضارة حيث يقول: "المجاملة مضلّة ومخالفة لفضيلة الحقيقة". لكن المؤلف يستحضر هذه الأخيرة فقط لتمريرها مع استقالة تمهيدية في النصف الثاني من القرن، إنها لغة التغييرات البطيئة.

أصبح التبرير الذاتي للطبقة المتوسطة من خلال الفضيلة والتكوين الدقيقين، أكثر تحديدا، فرفع من حدة الجدل تجاه المواقف الخارجية للبلاط وسطحية الحياة؛ هناك "أمثلة لأراء بلاطية في ألمانيا".

ليس من السهل الحديث عن ألمانيا بصفة عامة، لأن لكل واحدة من الدول التي كانت تتكون منها ألمانيا في تلك الفترة خصوصيتها التي تميزها. وإذا كان البعض يوافق على التطور العام فإن البعض الآخر يكتفي بالاتباع؛ فهناك ظواهر عامة أخرى يمكن رؤيتها في كل مكان بدرجات متفاوتة من الحدة، علما أن التهجير السكاني والاستنزاف الاقتصادي للدول بعد الحرب التي دامت ثلاثين عاما، كان له دور في ظهور تفاوتات طبقية.

وإذا ما قارنا فرنسا وإنجلترا مع ألمانيا وخصوصا البرجوازية الألمانية، نجد هذه الأخيرة أصبحت في القرنين 17 و18 أكثر فقرا، مثلا: التجارة ولاسيما التبادل النقدي مع الخارج الذي وصل في القرن 16 في بعض أجزاء ألمانيا إلى أعلى مستوياته من النشاط أصبح غير منظم، وأصبحت الثروات الهائلة للشركات التجارية الكبيرة كذلك مبعثرة. ويرجع كل ذلك إلى نقل الحركة التجارية إلى القارات التي تم اكتشافها. فكانت كل تلك المشاكل وليدة الآثار السلبية التي خلفتها الحرب؛ ولم يتبق من الطبقة

البورجوازية المدنية إلا فئة قليلة، تشتغل في آفاق ضيقة، وتعيش أساساً لتوفير الاحتياجات المحلية فقط، والتي يمكن أن نعتبرها بسيطة، إذ لم يتبق الكثير من المال لمتطلبات الرفاهية كالأدب والفن.

على عكس ذلك نجد أن الحياة داخل القصور تتميز بنوع من الترف، حيث المال متوفر بكثرة، وأصبحت هذه الحياة محط تقليد في بلاط لودفيغ السادس عشر (Ludwig XIV) رغم قلة الموارد. وكان يتخذ اللغة الفرنسية لغة للتكلم لأن اللغة الألمانية لغة الطبقات الدنيا والمتوسطة التي تعتبر مرهقة ومُحرجة.

كان لايبنتس (Leibniz)³ الفيلسوف الوحيد في البلاط الألماني، والوحيد الذي كانت له شهرة اجتماعية كبيرة في البلاطات الأخرى، لأنه كان يتحدث ويكتب بالفرنسية أو اللاتينية، ونادراً ما كان يستعمل اللغة الألمانية، إذ كانت اللغة تدل على معرفة المرء من خلال انشغاله بها مثل العديد من الاهتمامات الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك انتشرت اللغة الفرنسية في البلاطات انتشاراً كبيراً، خاصة لدى الطبقات البرجوازية، فكل العقلاء والأشخاص ذوو احترام ومنزلة يتكلمون بالفرنسية، فقد كان استخدام اللغة الفرنسية السمة المميزة للطبقات العليا. "ليس هناك ما هو رديء ومبتذل أكثر من كتابة الرسائل باللغة الألمانية"، هذا ما كتبه كوتشيدسبراون (GottschedsBraut) إلى خطيبته سنة 1730.

جميل أن يتكلم المرء بالألمانية، ولكن الأجمل أن ينسج كلمات على غرار الكلمات الفرنسية. بعد سنوات قليلة، بالضبط سنة 1740، قال موفيلون (Mauvillon)⁴ في كتابه الذي يحمل عنوان "الرسائل الفرنسية والألمانية" إنه لا يمكن للمرء أن ينطق أربع كلمات ألمانية من دون استعمال كلمتين من اللغة الفرنسية. كان ذلك في نظره الاستعمال الجيد. كما تكلم بتفصيل عن البربرية (الهمجية) في اللغة الألمانية، لأن طبيعتها حسب قوله "قاسية وهمجية".

"إننا نتكلم اللغة الألمانية بشكل أفضل في سكسونيا مقارنة بأي مكان آخر من الإمبراطورية"، الشيء ذاته يدعيه النمساوي ومن ينتمي إلى منطقة البايرن (Bayern)، وبراندنبورغر (Brandenburger) أو السويصري.

يواصل موفيلون (Mauvillon) حديثه بأن بعض المثقفين أرادوا إقامة قواعد اللغة الألمانية، لكن (من الصعب أن تمتثل أمة تشمل الكثير من الشعوب المستقلة عن بعضها البعض لقرارات بعض العلماء).

الأمر نفسه بالنسبة إلى مناطق عديدة أخرى، حيث كانت مجموعات صغيرة متوسطة تتحمل المهام في ألمانيا، في حين نجد في فرنسا أن من يضطلع بتلك المهام هم النبلاء والأرستقراطيون من الطبقة الراقية. لذا، حاول كل من المثقفين، والطبقة المتوسطة، وخدام الأمراء من مختلف الأنماط خلق نماذج محددة للتحويل الذهني من أجل وضع اللغة الألمانية، وبذلك يمكن، في المجال الروحي على الأقل، إنشاء الوحدة الألمانية، التي يتضح جلياً أنها غير قابلة للتحقق في السياسة. ويحوز مفهوم الثقافة الوظيفة نفسها.

يبدو منذ الوهلة الأولى أن الفرنسية المتحضرة لموفيلون (Mauvillon) هي المعيار لمعظم ما يراه في ألمانيا، ذلك قلة الموارد والتخلف ليس في اللغة فقط، بل في الآداب أيضاً، وهذا ما قاله في السياق نفسه: إن كل من بوب (Pope) وبوالو (Boileau) وميلطون (Milton) وموليير (Molière) وطاسو (Tasso) ورأسين (Racine) مثل جميع الشعراء المنتمين إلى المحيط نفسه، قد ترجمت أعمالهم إلى أغلب اللغات الأوروبية، في حين أن أغلب الشعراء الألمان ليسوا سوى مترجمين.

وواصل حديثه قائلاً: "بروح خلاقة في منطقتكم (برناس)، أتحدّكم أن تذكروا لي شاعراً ألمانيا، جادت قريحته بعمل له سمعة".

يمكن للمرء أن يرى أن لدى الفرنسي معلومات خاطئة، وهو رأي يمكن أن يكون غير صائب. لكن في سنة 1780، أي أربعين سنة بعد موفيلون (Mauvillon) وتسع سنوات قبل الثورة الفرنسية، في مرحلة كانت فيها فرنسا وإنجلترا قد تغلبتا على بعض المراحل الحاسمة من تطورهما الثقافي والوطني، وفي الوقت الذي كانت فيه لغات البلدين الغربيين قد وجدت بالفعل شكلها الكلاسيكي والجامد، نشر فريدريش العظيم (Friedrich der Grosse) نصه "الآداب الألمانية" (De la littérature Allemande) الذي يظهر فيه التطور البطيء للأدب الألماني، يوافق فيه ما ذهب إليه موفيلون (Mauvillon) سابقاً بخصوص اللغة الألمانية، وحسب رأيه دائماً، يوضح متسائلاً: بأي الوسائل يمكننا معالجة هذه الحالة السيئة للأمور؟ ويضيف قائلاً حول اللغة الألمانية: "أجد أن اللغة الألمانية لغة شبه بربرية، تنقسم إلى لهجات عديدة ومختلفة مقارنة بألمانيا التي تضم محافظات، وكل محافظة مقتنعة بأن لهجتها العامية هي الأفضل"، ويصف بعد ذلك اضمحلال الأدب الألماني، ووصمة التحذلق من العلماء الألمان وعدم إحراز تقدم كاف في العلم الألماني. وفي كل حال يرى أن هناك أسباباً لذلك، حيث تحدث عن إفقار ألمانيا نتيجة حروب دائمة، وعن عدم كفاية تطوير التجارة والبرجوازية، لذلك، يقول: "لا يجب أن يعزى بطء التقدم الذي حققناه إلى عبقرية الأمة ولا إلى روحها، لكن يجب علينا ألا نربط فقط سلسلة الظروف المؤسفة، بسلسلة الحروب التي دمرتنا وأفقرت الإنسان كما المال".

وتحدث عن بداية انتعاش بطيء: "الطبقة الثالثة لم تعد تقبع في انحطاط مخجل. الآباء يسهمون في دراسة أبنائهم من دون تردد. هذه هي البدايات المؤسسة للثورة السعيدة التي ننتظرها".

الهوامش

- Behaviour : أي المدرسة السلوكية؛ تنهج مقارنة الدراسة النفسية، التي تقوم بالتركيز على ملاحظة السلوكيات التي تحددها البيئة والتاريخ عن طريق التفاعلات التي تقع بين الفرد ومحيطه.
- Ideenzueinerallgemeinen Geschichte in weltbürgerlicherAbsicht : مقال للفيلسوف الألماني إيمانويل كانط. يتكون هذا المقال من مقدمة وتسعة جمل مرفقة بعدة تبريرات. تعتبر الجمل الثمانية الأولى بمثابة توطئة للجمل الأخيرة. كتب ذلك سنة 1784 عن عمر يناهز 60 سنة.
- Leibniz : فيلسوف، وعالم رياضيات، منطقي، دبلوماسي، محام، أمين مكتبة وعالم لغوي ألماني، كتب باللغة اللاتينية والفرنسية والألمانية. ولد في "Leipzig" سنة 1646، وتوفي في "Hannover" سنة 1716.
- JakobMauvillon (1743-1794) : مؤلف يهتم بالمناورات العسكرية؛ مؤرخ ومترجم وفيزيوقراطي ليبرالي. ولد في عائلة تنحدر من العائلات المسيحية الفرنسية. وكان لفترة طويلة أستاذ العلوم السياسية في "برونزيك".

الإحالة البيبليوغرافية على المرجع الأصلي الذي تمت ترجمته

Elias, N. (1980). Zur Soziogenese der Begriffe „Zivilisation“ und „Kultur“, Erster Teil: Zur Soziogenese des Gegensatzes von „Kultur“ und „Zivilisation“ in Deutschland. In *Über den Prozess der Zivilisation: Soziogenetische und psychogenetische Untersuchungen. Band I, Wandlungen des Verhaltens in den weltlichen Oberschichten des Abendlandes* (pp. 1-13). Suhrkamp.